مؤذِّنٌ لا مثيل له!!

كان لسليمان بن عبد الملك[1] مؤذِّنٌ يؤذن في قصره بأوقات الصلاة ، فجاءته جارية له مولّدة فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن فلاناً المؤذِّن إذا مررتُ به لم يقلع ببصره عنِّي ، وكان سليمان أشدّ الناس غيرة ، فهمَّ أن يأمر بالمؤذِّن ، ثم قال : تزيَّني وتطيَّبي وامضي إليه فقولي له : إنه لم يخفَ عنِّي نظرك إليَّ ، وبقلبي منك أكثر ممّا بقلبك منِّي ، فإن تكن لك حاجة فقد أمكّنك مني ما تريد ، وهذا أمير المؤمنين غافل ، فإن لم تبادر وإلا لم أرجع إليك أبداً .

فمضت إلى المؤذِّن وقالت له ما قال لها ، فرفع طرفه إلى السماء وقال : يا جليل ، أين سترك الجميل ؟ ثم قال : اذهبي ولا ترجعي ، فعسى أن يكون الملتقى بين يدي من لا يخيِّب الظنَّ!!

فرجعت إلى سليمان وأخبرته فأرسل إليه ، فلما دخل على سليمان قال له الحاجب : إن أمير المؤمنين رأى أن يَهَب لك فلانة ، ويحمل إليك معها خمسين ألف درهم تنفقها عليها ، قال : هيهات يا أمير المؤمنين ، إني و الله ذبحتُ طمعي منها من أول لحظة رأيتها ، وجعلتها ذخيرة لي عند الله ، وأنا أستحيي أن أسترجع شيئاً ادَّخرته عنده ، فجهد به سليمان

---

(١) الخليفة الأموي السادس ، ولد في دمشق ، وولي الخلافة بعد وفاة أخيه الوليد (٩٦ هـ) ، أطلق الأسرى وأخلى السجون وعفا عن المجرمين وأحسن إلى الناس ، كان عاقلاً فصيحاً طموحاً إلى الفتوح ، جهَّز جيشاً كبيراً وسيَّره في السفن بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك لحصار القسطنطينية ، وفي عهده فُتحت طبرستان وجرجان ، أوصى لعمر بن عبد العزيز من بعده ، توفي في مرج دابق شمالي حلب عام (٩٩ هـ) .

أن يأخذ المال والجارية فلم يفعل ، فكان يُعجب منه ، ولا يزال يحدِّث أصحابه بحديثه[1] .

* * *

مخالفة الشهوة :

كان في الكوفة شابٌّ متعبِّد ، لازم المسجد الجامع لا يفارقه ، وكان حسن الوجه والقامة والسَّمت ، فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به ، وطال عليها ذلك ، فلما كان ذات يوم ، وقفت له على الطريق وهو يريد المسجد ، فقالت : يا فتى ، اسمع مني كلمات أكلِّمك بهنَّ ، ثم اعمل ما شئت ، فمضى ولم يكلِّمها ، ولما عاد إلى بيته استوقفته لتكلِّمه ، فقال : هذا موقف تهمة ، وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعاً ، فقالت له : و الله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بأمرك ، ولكن معاذ الله أن يتشوَّف العباد إلى مثل هذا منِّي ، والذي حملني على أن لقيتك في مثل هذا الأمر بنفسي ، لمعرفتي أن القليل من هذا عند الناس كثير ، وأنتم معاشر العبَّاد على مثال القوارير أدنى شيء يعيبها ، وجملة ما أقول لك : إن جوارحي كلها مشغولة بك ، فالله الله في أمري وأمرك ، فمضى الشاب إلى منزله وأراد أن يصلي فلم يعقل كيف يصلي ، فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ثم خرج من منزله ، وإذا بالمرأة واقفة في موضعها ، فألقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله ، وكان فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : اعلمي أيتها المرأة ، أن الله عز وجل إذا عصاه العبد حلم ، فإذا عاد ستره ، فإذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب ،

---

(١) بتصرف من المستجاد للإمام التنوخي : ٢٢٨ .